إنه ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ وكان مع الملائكة وكانت الملائكة تراه أنه منها، وكان الله يعلم أنه ليس منها فلما أمر بالسجود كان منه ما كان»[١] «فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب»[٢].

نتلمح كتصريحة من عدم اعتراضه على الله: «لم يشملني الأمر إذ لم أكن من الملائكة» وإن الله أمره بخصوصه أم في الملائكة ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[٣] إنه شمله الأمر ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ فهو أعقل من أن يتحول إلى قياسٍ باطل بدل البرهان! فقد ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كوناً، ومن الملائكة كياناً ومحتداً في ظاهره حتى تبين أمره حين تخلّف عن أمر ربه!

وقد فرِّع فسوقه عن أمر ربه بكونه من الجن، ولو كان من الملائكة لم يفسق.

أم ويعني معنى ثانياً: كان ممن يجن ويستر عن الملائكة كونه من الجن وكونه كافراً ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ فتبين لهم أنه كان من الجن وأنه كافر، وعلى المعنيين معنيّان وما أجملهما جمعاً ومما يلمح لثانيهما «كان» حيث الأوّل كائن ما كان دون حاجة إلى صيغة المضي، ولكن إخفاءَه عنهم كوناً أو كينونة هو الذي «كان» ثم ﴿فَفَسَقَ﴾ تفريع للأول، وعطف ترتيب للثاني!

= وماروت وفيه بعد أن مدح عليه السلام الملائكة وقال: معاذ الله من ذلك أن الملائكة.. بألطاف الله تعالى - قالا: قلنا له عليه السلام: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضاً ملكاً: فقال: لا - كان من الجن أما تسمعان الله تعالى يقول: ﴿... كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠] فأخبر عز وجل أنه كان من الجن وهو الذي قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

(١) نور الثقلين ٣: ٢٦٧ ح ١١٩ في تفسير العياشي عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: سألته عن إبليس كان من الملائكة وهل كان يلي من أمر السماء شيئاً؟ قال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي من أمر السماء شيئاً كان من الجن...

(٢) المصدر ج ١١٨ في أصول الكافي عنه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الملائكة كانوا يتحسبون أن إبليس منهم وكان في علم الله أنه ليس منهم فاستخرج:

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

فسق عن أمر ربه لأنه لم يكن من الملائكة وهم معصومون بل كان من الجن الوارد منهم الفسق، وكان ممن يجن حالته الكافرة، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١] ففسق عن أمر ربه بالسجود إذ لم يتمالك نفسه العاتية المستكبرة أمام آدم! ثم و﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ علّه استثناء منقطع إذ كان من الجن، وأمره بالسجود يخصه كما أمرهم يخصهم، أم متصل عُني من الملائكة الكيان الملائكي في واجهة الأعمال الإيمانية الملائكية، إذ كان معهم يعبد الله بضعة آلاف من السنين لحد اعتبروه منهم ولأقل تقدير كياناً، أم أمر بأمرين يخصه ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[٢] ويعمه مع الملائكة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وعله أجمل حيث المتمرد بحاجة إلى تأكد من الأمر، فليُؤمر بأمرين!

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ﴾ حيث لم يسجد لآدم، وعدوٌ لله حيث عصاه - تتركوني وأنا ربكم وتتولونه وهو عدو لكم ولربكم ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ! وماذا تعني ولاية الشيطان وذريته؟ قد تعني الولايات الإلهية كلها حسب مختلف دركات العقائد في اتخاذ الشيطان وذريته أولياء.

من ولاية العبادة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[٣] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾[٤] ﴿بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾[٥] فمن الناس من يعبد الشيطان خوفاً منه وتقية لكيلا يضره، وعبادته أضر الأضرار، فراراً أخبث من الحفرة بدخول البئرة.

ومن ولاية الطاعة ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٢.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٠.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٤١.

إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[١] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[٢].

ومن ولاية التكوين والتدبير والتشريع والتقدير، بمختلف العقائد الشاردة الماردة عن صراط الحق في ذلك البدل البعيد السحيق و﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾! ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[٣]:

وترى كيف انتشاء الذرية وانتسال الأنسال من إبليس؟ أمن زواج الزوجين؟ ولم يأت ذكر ولا إشارة في الذكر الحكيم عن شيطانة، وقد ذُكرت إنسانة: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[٤]!

ولكن التعبير بـ ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[٥] يلمح أن فيهم أيضاً نساء حيث الرجولة والأنوثة من المضايفات، كلٌّ تطلب الأخرى، فلتكن الذرية منهم بين رجال ونساء، دون أن تباض بيضات كما في بعض الروايات!

و﴿بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هنا هم من القدة غير الصالحة ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾[٦] فلا موقع للقول: لعل التناسل هو بين صالحي الجن دون مَن دون ذلك! مع أن الصلاحية هنا لا تعني صلوح التناسل، وإنما العقيدة والعمل، ووحدة الجنس بين الصالحين ودون ذلك الشامل للشياطين، إنها تحكم بوحدة الكيفية في انتسال الأنسال!

---

(١) سورة يس، الآية: ٦٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ١١٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٩.
(٥) سورة الجن، الآية: ٦.
(٦) سورة الجن، الآيتان: ٦، ٧.

﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾:

أترى من «هم» في ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ و﴿أَنفُسِهِمۡ﴾؟ أهم فيهما إبليس وذريته كما هما محور البحث في آية السجود من عصيانه النكير وولايته بذريته! فسلب الأشهاد في الخلقين لزامه سلب ولايتهم الإلهية كيفما كانت؟ حيث الولاية التامة لزامها الإحاطة العلمية وفي القدرة، أن يحيط فيهما بخلق السماوات والأرض، أم - وعلى أقل تقدير - بخلق أنفسهم، فيصبحوا إذاً من أعضاد الربوبية، بُعدان بعيدان عمن سوى الله أياً كان!

فلو كان الإشهاد بإحضارهم على علم، فليكونوا كائنين قبل كونهم، وقد خُلقوا بعد خلق السماوات والأرض فكيف يُشهَدون خلقهما، وقد خُلقوا ولم يكونوا شيئاً مذكوراً فكيف يُشهدون خلق أنفسهم؟

وإن كان إشهاداً دون إحضارهم، بأن عرّفهم حقيقة خلقهما وخلقهم أنفسهم بعد خلقهما وخلقِهم، كأنهم كانوا حضوراً حين الخلقين، فأحاطوا بهما علماً وقدرة، فلهم الولاية إذاً بما أُشهدوا؟ ولكن الله ما أشهدهم! ولو أشهدهم لكانوا يعلمون غيب السماوات والأرض كما الله، أم وغيب أنفسهم كما الله، فكانوا قادرين عليهما وعلى أنفسهم كما الله، حيث العلم التام هو القدرة التامة! وهي الولاية الإلهية على سواء.

ثم لو أمكن اعتضاده تعالى بعضد مستحيل في بعدين كالأول، أم في بعد واحد كالثاني، لكان يعتضد بعدول هادين دون المضلين ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾!

إن الله تعالى يحيط بعض الشيء كإشهاد ثان بعض عباده شيئاً من كونه أو كله، إراءة للملكوت، وولاية جزئية دونما اعتضاد لنفسه ولا تخويل لهم، ولكنهم هداة وفي قمة العبودية والعدالة، وأما أن يتخذ المضلين عضداً

﴿وَمَا كُنتَ﴾ منذ بدء التكوين ﴿مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ ولماذا عضد لمن هو على كل شيء قدير ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]؟ ولماذا المضلين وشأنه الرحمة والهداية؟!

إذاً فأيّة ولاية إلهية بعيدة عن الشيطان وذريته في أبعاد عدة، بعد الاستحالة في نفسه كما الإشهاد الاوّل أم في ساحة الربوبية كما الثاني!.

ثم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ كما هم أعداء الله، فكيف يتخذهم عضداً، اللّهم إلّا لمزيد إضلال فيما الله يعجز عنه فيعتضد بالشيطان وذريته! فسبحانه سبحانه وتعالى عما يشركون!

فهل يتخذ الله من غير المضلين عضداً حتى يتخذهم وهم مضلون عضداً صيغة صائغة مجاراتاً لأوهام المشركين لاستئصالها ببرهان مكين متين!

إنه لا عضدَ لله يعتضد به، وإنما له أولياء في شرعته بما أشهدهم إياها: ولاية شرعية، دون ولاية تشريعية، أن لم يشهدهم جذور مصالح التشريع حتى يشرعوا بل هو الذي ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[2] دون أن يخوِّلهم تشريعاً اللهم إلّا حكماً بشرعته جماعياً وفردياً وفي كافة الحاجيات المختلف فيها بين الأهواء والعقول وفي مختلف الحقول!

وأما ولاية التكوين، فهي منحصرة في الله في أصلها: التكوين لا من شيء، وقد يمنحها الله في فرعها: التكوين من شيء كآيات النبوات بقلة في إراءة الملكوت كإحياء الموتى فيما تطلّبه إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[3] وبكثرة فيما هم فيها مظاهرُ لفعله كخلق الطير للمسيح فإنه في

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

جسمه بإذنه، وفي روحه بإذنه، دون تكوين للمسيح إلّا خلق الطين كهيئة الطير في صورة، وأما هيئته في حقيقته ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ فضلاً عن روحه ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾[1] فإنما هما من تكوينه تعالى لا تكوينه!

فلا ولاية إلهية هي من خلفيات العلم المحيط بالكون، لأحد من خلقه، اللّهم إلا شرعية بما أوحى، أو تكوينية كأداة صورية لا حقيقية!

ثم لـ «هم» في ﴿أَشَهِدتُّهُمْ﴾ و﴿أَنفُسِهِمْ﴾ وجوه ثلاثة أخرى وما قدمناه أصح وأحرى.

١ - إنهما راجعان إلى من يتولون الشيطان وذريته في كل ما مضى من إشهاد وهو في نفسه صحيح، لا لهم فحسب، بل ولمن سوى الله ككل، حيث ما أشهدهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم - ولكنه لا يناسب ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ حيث المتولون هؤلاء لم يدّعوا كونهم أنفسهم أعضاد الله، وإنما الشيطان وذريته حيث يتولونهم كأنهم أعضاد لله!

٢ - إن الأول راجع إلى الشياطين والثاني من يتولونهم، أن الشياطين ما أشهدوا خلق الكون ليُتخذوا أولياء، وهم ما أشهدوا خلق أنفسهم، أنها في الكيان بحيث يتخذونهم أولياء؟ ولكنما التولي هكذا لا يحتاج هكذا إشهاد لخلق أنفسهم، وإنما وحي أو كتاب أو أثارة من علم أمّاذا؟ ثم يكفي سلباً لهذا التولي ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾.

٣ - عكس الثاني أن المتولين الشياطين ما أُشهدوا خلق السماوات والأرض، والشياطين ما أشهدوا خلق أنفسهم، فإذ لا يحيطون علماً بالسماوات والأرض فكيف يتخذون الشياطين أولياء من دون الله، أتخرصاً

(١) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

على الغيب أن الله اتخذهم لهم أولياء وأذن لهم؟ أم علماً بالغيب ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ وما أشهدت الشياطين خلق أنفسهم أنهم خُلقوا أولياء؟ ولكنما الولاية الإلهية يكفيها الإعلام، دون إشهاد لخلق أنفسهم!

أو يقال: إذا لم يشهدوا خلق أنفسهم فأولى ألّا يشهدوا خلق السماوات والأرض، فأنّى لهم الولاية الإلهية ولزامها العلم التام والقدرة؟

وهذا في نفسه صحيح، ولكنه بنفسه غير فصيح، ولا تتحمله لفظ الآية، حيث ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ عطف على ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ فـ «هم» فيهما - إذاً - جماعة واحدة، حيث اللفظة الصحيحة الفصيحة لاختلافهما «ولا أشهدتهم خلق أنفسهم» بل «ولا أشهدت هؤلاء...»! ٤ - وقد تعنيهما الآية جمعاً بين الحجتين.

ووجه خامس ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي ما أشهدت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض سناداً لولايتهم، ولا أشهدت المتولين لهم خلق أنفس إبليس وذريته ليحيطوا علماً بتأهُّلهم لتلك الولاية!

ووجه سادس يجمع بين الوجوه الصحيحة في نفسها.

وأولى الوجوه هو الأول، ثم هي بين غلطٍ وصحيح مّا ضمن الأول، والجمع بين الصحيحة هو أصح الوجوه!:

إنه تعالى ما أشهد الشياطين ولا المتولين لهم ولا المؤمنين ولا أولياءَه المكرمين، خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم، لا إشهاد الحضور حيث لم يكونوا حضوراً، ولا إشهاد الإحاطة علماً وقدرة، فإنه ولاية إلهية لا تثنى ولا إشهاد الإِطْلاع للمتولين الشياطين أن لهم ذلك التولي! أو لشياطينهم تلك الولاية - ولا أنه يعتضد بمن سواه، ولو كان معتضداً لم يكن بالمضلين ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ -.

فالرسول ﷺ وهو أوّل العابدين وآخر المرسلين ليس عضداً ولا وكيلاً

ولا وليّاً تكوينياً ولا تشريعياً عن رب العالمين: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[١] ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ. . .﴾[٢].

وإشهاد خلق السماوات والأرض وإشهاد نفس المشهود له لنفسه ككلٍّ فيه علم الغيب كله، والقدرة على الغيب كله، فإذ لا ولاية عامة لأوّل العابدين الهادين فكيف إذاً حال أوّل المضلين؟ ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾!

وكما أن للعضد الخير الهدى درجات كلها منفية لله، كذلك للعضد الشر الضلال دركات وأحرى أن تكون منفية عن الله، من عضد الولاية الإلهية، أو الرسالة وما دونها من دعوة إلهية بمراتبها، ثم وغير العضد المستحيل لله أياً كان، من أنصار الله فيما صح وأمكن، ليس إلّا لمن هو على هدى ويهدي إلى الحق ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾[٣] ذلك اعتضاد مستحيل لله على أية حال ولندرس منه حرمة اعتضاد المضلين فيما أمكن على أية حال كما لم يتخذ الإمام علي معاوية عضداً[٤].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٣) سورة يونس، الآية: ٣٥.
(٤) نور الثقلين ٣: ٢٦٨ ج ١٢٢ في أمالي شيخ الطائفة بإسناده إلى جبلة بن سحيم عن أبيه قال: لما بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بلغه أن معاوية قد توقف عن إظهار البيعة له وقال: إن أقرني على الشام أو الأعمال التي ولانيها عثمان بايعته، فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين! إن معاوية من قد عرفت وقد ولاه الشام من كان قبلك، فولِّه أنت كيما يتسق عرى الأمور ثم اعزله إن بدا لك، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال: لا! قال: لا يسألني الله عزوجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾ [الكهف: ٥١]. =

إن المضلّ وإنْ في جهة من الجهات أو وجه من الوجهات - ما صدق عليه مضل - لا يعتضد، كما لم يعتضد الإمام الحسين عليه السلام من تأبى عن نصرته بنفسه، وعرض عليه فرسه وسيفه(١).

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾:

هنا يوم يتجاهلون أن شركاءهم لا يجيبونهم إذ يدعون، وهناك يوم لا يستطيعون تجاهلهم... ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ...﴾ موقف بائس كارث لا تجدي فيه دعوى بلا برهان حيث الديان يطالبهم قائلاً: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ وهل يقدرون أو يجسرون ألّا ينادوهم لأنهم يعلمون أنهم لا يستجيبون؟

= وفيه ١٢٤ في كتاب الخصال عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام وقد ذكر معاوية بن حرب: وأعجب العجب أنه لما رأى ربي تبارك وتعالى قد رد إلي حقي في معدنه وانقطع طمعه في أن يصير في دين الله رابعاً وفي أمانة حملناها حاكماً كر على العاص بن العاص فاستماله فمال إليه ثم أقبل به بعد أن أطمعه مصر وحرام عليه أن يأخذ من الفيء دون قسمته درهماً، وحرام على الراعي إيصال درهم إليه فوق حقه، فأقبل يحيط البلاد بالظلم ويطأهم بالغشم، فمن تابعه أرضاه ومن خالفه ناواه، ثم توجه إليّ ناكثاً علينا مغيراً في البلاد شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً، والأنباء تأتيني، والأخبار ترد علي بذلك فأتاني أعور ثقيف فأشار عليّ أن أوليه البلاد التي هو بها، لأداريه بما أوليه منها، وفي الذي أشار به الرأي في أمر الدنيا لو وجدت عند الله عزوجل في توليه لي مخرجاً، أو أصبت لنفسي في ذلك عذراً، فأعملت الرأي في ذلك، وشاورت من أثق بنصيحته لله عزوجل ولرسوله عليه السلام ولي وللمؤمنين، فكان رأيه في ابن آكلة الأكباد رأي ينهاني عن توليته، ويحذرني أن أُدخل في أمر المسلمين يده، ولم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلين عضداً!

(١) نور الثقلين ٣: ٢٦٨ ح ١٢٣ في كتاب مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف أن الحسين عليه السلام قام يتمشى إلى عبد الله بن الحر الجعفي وهو في فسطاطه حتى دخل عليه وسلم عليه، فقام إليه ابن الحر وأخلى له المجلس فجلس ودعاه إلى نصرته فقال عبيد الله بن الحر: والله ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن تدخلها، ولا أقاتل معك، ولو قاتلت لكنت أوّل مقتول، ولكن هذا سيفي وفرسي فخذهما فأعرض عنه بوجهه فقال: إذا بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في مالك ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]:

كلّا! ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ أصناماً لا يعقلون ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ أو طواغيت يعقلون ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ نداء من زعموهم بدعائهم شركاء حيث تبلى السرائر ولا تخبأ الجرائر، أم صلحاء من ملائكة وأنبياء، أمّن ذا وحاشاهم أن يستجيبوا نداء المشركين ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ إذ يعلم هؤلاء وهؤلاء أنهم ما كانوا أيّاهم يعبدون فقد كانوا يعبدون أهواءهم ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾[1] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾: مهلكاً يهلك رباطاً بينهم كانوا يزعمون ويهلكهم بما كانوا يزعمون، ويهلك غير المؤمنين من شركائهم أوثاناً وطواغيت: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[2]:

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾:

ترى وإذا ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ وهم عارفون أنهم أهل النار وهم يرونها، فكيف ظنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ ولم يستيقنوا؟

إن مواقعة النار وهي الوقوع من جانبي النار وأهل النار، هي دخولهم في النار واشتغال النار بهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ...﴾[3] هذه المواقعة رغم أنها واقعة لهم دون شك، ولكنهم حيث يترجون مهلة لهم بين رؤية النار ومواقعتها من ناحية، ويرونهم قريبين إليها من أخرى ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أو أنهم على احتمال النجاة من النار أن يجدوا عنها مصرفاً كما يرجو كل مجرم ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ حال أنهم ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: صرفاً أو مكاناً أو زماناً للصرف عنها، خلاف ما ظنوه من مصرف أياً كان وأيان.

فليس الظن هنا ولا في غيرها علماً كما العلم أياً كان ليس ظناً، فأي

(١) سورة يونس، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠.